وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة الثامنة

الهجرة إلى الحبشة

ما زلنا عباد الله نتابع سيرة الرسول الكريم محمد ﷺ على نفس النهج الذي بدأنا به؛ لأننا نريد أن نفقه من السيرة شيئا ينمي الإيمان في قلوبنا، ويزكي الخُلُق في نفوسنا، ويلهب الكفاح في أعمالنا، ويغرينا باتباع نبينا ﷺ.

إن المسلمين الآن لا يعرفون عن السيرة إلا قشورًا خفيفة لا تحرك القلوب، ولا تستثير الهمم، ولا تغني من جوع، وهم يعظمون النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم عن تقليد موروث، ومعرفة السيرة على هذا النحو التافه تساوي الجهل بها، بل سيرته هي الأسوة، والاتباع، والنور الذي يضيء لنا ظلمات الطريق.

فهيا بنا عباد الله على هذا النهج نتبع، وفي هذا السبيل نسير، وعلى هذا الفهم نعمل، فهيا بنا نتناول مقطوعة أخرى عطرة من سيرته ﷺ، ننتقي منها باقة نضرة من جهاده بعدما انتصر على جميع محاولات الكافرين للصد عن سبيل الله.

فأدركت قريش أن ما تصبو إليه بعيد المنال، فعادت إلى سيرتها الأولى تصب جام غضبها على المسلمين، وحزن الرسول الكريم ﷺ للمآسي التي تقع لأصحابه رضي الله عنهم وهو عاجز عن كفها، فأوعز إلى من قل نصيره ونبا به المقام في مكة أن يهجرها إلى الحبشة، وكان ذلك لخمس سنين من البعثة، وكان الرحيل إلى الحبشة تسللا في الخفاء حتى لا تفطن قريش للأمر فتحبطه، ولم يبدأ كذلك على نطاق واسع بل كانوا اثني عشر رجلا وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ، وتيمموا شطر البحر حيث استأجروا سفينة تنقلهم، ولم يمكث هؤلاء المهاجرون طويلا حتى ترامت إليهم الأخبار بأن المشركين قد خففوا من وطأة الاضطهاد، وتركت هذه

الإشاعة أثرها في قلوب المؤمنين فقرروا العودة إلى وطنهم، وحين عادوا لم يجدوا الأخبار التي وصلتهم صادقة، وكان الأمر أشد على المسلمين، فلم يجد النبي ﷺ بدا من أن يشير عليهم بالهجرة مرة ثانية، والتي ذكر فيها أهل السير أنهم كانوا ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارا أو ولدوا بها.

فتعالوا عباد الله نستمع ما قالته السيدة أم سلمة رضي الله عنها، وقد هاجرت الهجرتين تقص علينا ما حدث في الهجرة الثانية: **"لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إلى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ[1]، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعَا إلى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا[2] إلى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إلى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا[3]، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا**

---

[1] الجلود.

[2] لجأ وأوى.

[3] أبصر بهم.

هَدَايَاهُمْ إلى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إلى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ، وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إلى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَاهَا[1] اللَّهِ ايْمُ اللَّهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ: مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ، أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إلى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي، قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إلى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إلى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا

[1] أي: لا والله.

مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا؛ فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا، وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ، حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ[1]، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ[2] وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ، لَأُنَبِّئَنَّهُ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ[3]، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ -وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا-: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ:

---

[1] ابتلت من الدموع.

[2] الكوة غير النافذة.

[3] شجرتهم التي تفرعوا منها، وخضراء كل شيء أصله.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ[1]، وَكَلِمَتُهُ[2] أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ[3]، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ[4]، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي -وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ، مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ[5] حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ"[6].

وأخفقت حيلة عمرو، وعاد الوفد إلى مكة يجر أذيال الخيبة، وعرفت قريش أنها لن تنفذ ضغينتها على الإسلام وآله إلا في حدود سلطانها، فعزمت أن تشفي غيظها ممن يقعون تحت أيديها.

ولنا هنا وقفة عباد الله، وحق علينا أن نقف

-أولا: عباد الله انظروا إلى الرسول ﷺ وشفقته على المسلمين، فلقد خاف النبي ﷺ على المسلمين فأمرهم بالهجرة، وكثير منا يؤدي النصيحة إلى من يحتاجها، نريد أن

---

[1] قيل بنفخة جبريل روح الله في درع مريم، وقيل روح منه: مثل كل بشر وهذا للتفضيل مثل بيت الله.

[2] بقول سبحانه (كن).

[3] العذراء المنقطعة عن الزواج.

[4] أي مقدار هذا العود.

[5] يريد حين رد الله عليه ملكه.

[6] أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (١٧٤٠)، وصححه أحمد شاكر رحمه الله في مسند أحمد رحمه الله (١٨٠/٣)، وحسنه الشيخ مقبل رحمه الله في الصحيح المسند (١٦٧٢).

نرمي إلى شيء أبعد، الرسول ﷺ هو القائد، فلن يهاجر أولا، ولن يترك الساحة، بل مكث وثبت الصحابة، وتركهم هم يهاجرون، وحتى لما هاجر المسلمون كلهم إلى المدينة كان آخر من هاجر، هو يَثْبُتُ في المكان الذي يقول إنه يحارب فيه، ويجاهد فيه، وينجي من اتبعه، هذه إشارة واضحة وقوية ومفهومة من هذه القطعة المباركة.

- **ثانيا:** الظاهر أن هذا النجاشي -وهو لقبُ مَن مَلَكَ الحبشة، واسمه أصحمة- كان رجلا راشدا، نظيف العقل، حسن المعرفة لله، سليم الاعتقاد في عيسى بن مريم عبد الله ورسوله، وكانت مرونة فكره سر المعاملة الجميلة التي وفرها لأولئك اللاجئين إلى مملكته فارين بدينهم من الفتن، ولهذا فقد أسلم بعد ذلك، وله فضل؛ فقد روي عن جابر رضي الله عنه قال النبي ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: **"مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ"**[1]، فصلوا عليه صلاة الغائب، قيل: لأنه لم يصل عليه في أرضه.

- **ثالثا:** مشروعية الهجرة؛ فالهجرة هي الانتقال من بلد الكفر حيث تعذر على العبد أن يعبد الله إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾[النساء: ٩٧ – ٩٩].

- **رابعا:** بيان خطر الشائعات إذ بها رجع المهاجرون الأوائل من الحبشة.

والشائعات: هي أن يتناقل الناس الأحاديث بدون تَثَبُّت، وهذه آفة أصابت كثيرًا من المسلمين، فيسمع الشخص شيئًا ما، ثم يبث الأحاديث بدون تثبت، يقول تعالى:

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٧٧).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦]، ويقول ﷺ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"[1].

- خامسا: ووقفة أخرى عباد الله مع الصدق، فهؤلاء المسلمون صدقوا الله سبحانه وتعالى، وصدقوا النجاشي، ولم يخافوا في الله لومة لائم معتزين بدينهم، والمرء يقف أمام مثل هذه المواقف بإجلال وتقدير، ويقول: يا ليت مسلمي هذا العصر يفقهون هذا، ولا يتنازلون عن دينهم ظانين أن هذا يقرب الكفار إلى الإسلام، وهذا من الخطأ البَيِّن، بل من الضلال المبين، فما حدث في الحبشة من ١٤٠٠ سنة يحدث الآن وقبل الآن، يحدث من أرباب الفتن، وأصحاب المصالح، والمجرمين، يقلبون النصارى على المسلمين، والمسلمين على النصارى، وللأسف بعض الذين يريدون الإصلاح أو يوهمون الناس بذلك يتخذون وسائل ما أنزل الله بها من سلطان، فيقولون مثلا: الإسلام والمسيحية دين واحد، ولا خلاف بيننا، فالمجاملات –عباد الله– لا تكون في العقيدة، ثم إن المسلمين والنصارى يعرفون ضلال هذا الكلام، أو يأتون بشيخ وقسيس ويتعانقان، ولكن الحل هو ما فعله هؤلاء الصحابة ﷺ، وهو أن يظهروا ما قاله الشرع بدون حرج، فالله سبحانه الذي قال: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ [المائدة: ١٧] هو الذي قال: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾، كذلك عند المسيحيين من كتبهم: "الرب قال: من يأتي بعدي دجال"، وكذلك: "إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم؛ فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له: سلام"، ويقول تيري جونز أحد القساوسة: "إن الإسلام ليس دينا سماويا، بل هو نتاج شيطاني، مؤكدا أن المؤمنين به سيذهبون إلى جهنم".

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله (٤٩٩٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٨٠)، ورواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ مقارب (٥).

لا بد أن نظهر للناس أن العقائد مختلفة، ولكن هذا عند الله، أما المهم في المعاملة بين الناس أن تكون مبنية على الصدق، والبر، والعدل.

الصدق عباد الله، وهو مطابقة الخبر الواقع، والصدق يكون مع الله، ومع رسول الله ﷺ، ومع الناس.

فالصدق مع الله أن نأتمر بأوامره، وننتهي عما نهى عنه ﷻ، ونؤمن بكل الغيبيات التي أخبر الله تعالى بها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب: ٢٣]، ويمكنك عبد الله أن تصدق مع الله ﷻ فيعطيك منازل عظيمة، يقول ﷺ: **"مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"**[1]،

والصدق مع الرسول ﷺ هو أن تصدقه، وتتبعه، ولا تفتري عليه كذبًا، يقول ﷺ: **"مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"**[2].

والصدق مع الناس هو أن تقول الخبر الصحيح، ولا تكذب عليهم، حيث إن الشيطان عَلَّم الناس أمورًا ما أنزل الله بها من سلطان، وهي أنه يوجد كذب أبيض صغير لا يضر، وكذب أسود كبير يضر، فالكذب كله أسود كبير يضر، غير أنه إثم أعلى من إثم، يقول ﷺ: **"دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ"**[3]، فالكاذب تجده يشك في من حوله، يقول القائل:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصَدَّقَ ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول وشاته ... فأصبح في شك من الليل مظلم

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٩٠٩).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٢٩١)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٣).

[3] أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه (٢٥١٨)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي رحمه الله (٢٥١٨).

فاختر لنفسك ماذا تحب أن تكون، بل اختر لنفسك ماذا تحب أن تكتب عند الله، يقول ﷺ: "**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**"[1].

وها هي نماذج مضيئة تبين أن الصادقين في منازل عالية بإذن الله، كما أنها تبين أحوالهم، فها هو هشام الدستوائي يقول: "**وَاللهِ مَا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أَقُوْلَ: إِنِّي ذَهَبتُ يَوْماً قَطُّ أَطْلُبُ الحَدِيْثَ أُرِيْدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ ﷻ، قُلْتُ (الذهبي): وَاللهِ، وَلاَ أَنَا**"[2].

قال الفضيل بن عياض (وهو يتكلم عن قوله تعالى: ﴿**لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٨]): "**مَا تَزَيَّنَ النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الصِّدْقِ، وَاللهُ ﷻ يَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ مِنْهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، كَيْفَ بِالْكَذَّابِينَ الْمَسَاكِينِ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: أَتَدْرُونَ فِي أَيِّ يَوْمٍ يَسْأَلُ اللهُ ﷻ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام؟ يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَكَمْ مِنْ قَبِيحٍ تَكْشِفُهُ الْقِيَامَةُ غَدًا**"[3].

وهكذا عباد الله فإن السيرة المطهرة كلها فوائد وعظات، فهيا بنا نقتبس من فيض نور هذه السيرة، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٠٩٤)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه واللفظ له (٢٦٠٧).

[2] سير أعلام النبلاء (١٥٢/٧)، للذهبي رحمه الله.

[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠٨/٨)، لأبي نعيم رحمه الله.